مركب النقص وخيال الغرور

لقد استفحل مركب النقص فاستبد استبداداً مشيناً فى بعض النفوس الهزيلة التى تدعى كذباً وبهتاناً أنها نفوس كبيرة تحمل أسمى الصفات وأرفع الآمال وأكرم المبادئ ، فأصبحت تعيش فى ظلمة حالكة وجو خانق سعيره الأنانية والحسد والبغضاء ، والعجيب أن أصحاب هذه النفوس الوضيعة يعيشون فى خيال الغرور وخيال الغرور مهلكة للشباب وفناء أدبى يقود صاحبه إلى الخطيئة والزلل فيكون هدفاً لسخط المجتمع وعذاب الضمير ، أقول إنهم يعيشون فى هذا الجو البغيض فلا يذكرون الناس من العاملين المخلصين إلا بأحط الصفات وأقبح العبارات فكأن العلم والأدب والذوق لم يخلق إلا لهم وحدهم دون سائر خلق الله فهم أرباب العلم والأدب وفرسان القومية والوطنية ودعاة الحق والإصلاح وهم كل شىء فى هذا البلد الفتى الذى هو فى أمس الحاجة إلى شباب نير العقل واعى القلب متين الأخلاق طاهر الضمير . وقد كان الأخلق بهؤلاء سامحهم الله أن يكونوا معاول بناء لا معاول هدم ودعاة خير لا دوافع شر ولكن مركب النقص وجنون الغطرسة والغرور يأبيان إلا إيقاع هذه النفوس الضعيفة فى طريق الهاوية وبين مهب الريح ، وحينئذ يفقدون كل المقاييس العقلية والخلقية التى تفتح لهم سبيل الحياة ممهداً للسعادة والطمأنينة والهناء .

والذى يؤلم المخلصين فى هذا البلد أنك تراهم يتشدقون بما هم ليسوا أهلا له ويفخرون بأنهم رسل الإصلاح لهذا الوطن وشباب الطليعة لترقية المجتمع ورفع مستوى الأمة وتحقيق الصالح العام مع أنهم أنانيون ماديون لا يعرفون من الوطنية الصادقة والقومية الحقة إلا مظاهرها الخلابة البراقة وحديثها الممتع الجميل الذى يقوم على التطبيل والتزمير وهذه مع الأسف الشديد آفة العرب الكبرى فى شتى أقطارهم فهى السبب الأول الذى أعاق سيرهم فى بيداء الحياة ووقف حائلا دون تحقيق أمانيهم القومية والوطنية وإذا سألت أيها القارئ الكريم عن السبب فى كل هذا فاعلم أن التشبث بالخيال الخادع والتشدق بالقول لا بالعمل والنظرة السطحية الغير عميقة إلى الأمور هى التى تجر المرء والمجتمع والأمة إلى الفشل الذريع والتردى السحيق ، وإذا أردت الدليل فخذمن حياة الغربيين أفراداً وشعوباً المثل الأعلى فى الإخلاص والتفانى والوفاء ، فالغربيون لم يجعلوا الكلام الفارغ شاغلا لهم فى الحياة وإنما جعلوا من مواجهة الحقائق والصبر على العمل والإخلاص فى تأدية الواجب دعامة قوية لكل عمل يهدفون إلى تحقيقه أو غاية يرمون الوصول إليها وبالفعل فقد بلغوا ما أرادوه وحققوا لأنفسهم حياة كريمة رفيعة قوامها العلم الصحيح وأساسها التعاون والإخلاص ومعينها الجد والمثابرة ، فيا من ذهبتم ضحية سراب الوطنية وخيال القومية محاولين أن تجعلوا من أنفسكم شيئاً يذكر وحرام أن تذكروا التوافه اقتصدوا من هذه الثرثرة الجوفاء وانظروا لأنفسكم نظرة بعيدة عن الخيال وغطرسة الغرور فستجدون أنكم فريسة السير وراء ركاب الهدم وألعوبة مضحكة يتفكه بها الناس فى الشوارع والطرقات ، أما إذا أردتم راحة الضمير فاجعلوا العقل الراجح والخلق القويم دليلكم للسير فى مهمة الحياة وطرقاتها الملتوية المعقدة والله كفيل بهداية الناس أجمعين .

سكرتير المعارف

عبد العزيز الغربللى